لا تتردد حكومة جنوب افريقية في تهديد الجالية اليهودية اذا ما اتخذت اسرائيل موقفا معاديا لها بأي شكل من الاشكال ولا تتردد في وقف تحويل رؤوس الاموال الى اسرائيل كوسيلة للضغط . وهكذا فان وضع الجالية اليهودية في جنوب افريقية عامل اضافي حاسم لايجاد علاقات طيبة بين جنوب افريقية واسرائيل ، هذا بالاضافة الى العلاقات الناشئة بينهما نتيجة لوضع كل منهما في اطار النظام الرأسمالي والغربي .

الخلفية التاريخية للعلاقات ما بين جنوب افريقية واسرائيل : اطـار الامبريالية الغربيـة

بعد ان استعرضنا الوضع الحالي للعلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل ، نشعر انه لفهم الاسس التي تقوم عليها هذه العلاقات لا بد ايضا من معالجة الاطار المشترك للدولتين باعتبارهما من الدول الاستيطانية الغربية غرستا في قلب العالم الافرو — اسيوي . وقد حدد بروفسور ريتشارد ستيفنز ، من جامعة لينكولن، الاساس التاريخي المشترك لهاتين الدولتين في محاضرة بعنوان « الدول الاستيطانية والاستجابة الغربية » القاها في ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت في شهر شباط ١٩٧١ ، ونقتطع منها ما يلي : « يعتبر قانون اتحاد جنوب افريقية (لندن ، ١٩٠٩) ووعد بلفور (لندن ، ١٩١٧) من بين القرارات الغربية المختلفة التي كان لها تأثير على حياة ومصائر شعوب ما يسمى العالم الثالث ، واكثرها قوة على فضح جوهر الايمان بسمو العرقية واشملها على اظهار قدرة العالم الغربي على تحويل وترجمة امتداد قوته واضفاء الشرعية عليه تحت ستار القانون الدولي والاخلاق . ومع هذا ، فان هاتين الوثيقتين اللتين وضعتا دون اي اعتبار لحقوق وتطلعات الشعوب التي اخضعت للقوة قد بررتا على أساس من اسمى المسؤوليات والمبادىء الاخلاقية للحضارة الغربية . وهكذا ، بأسم الليبرالية البريطانية لا يفقد السكان الاصليون في فلسطين وجنوب افريقية بيوتهم واراضيهم ومعظم حقوقهم الطبيعية فحسب بل ايضا يلقون انفسهم وقد نزعت عنهم هويتهم واخضعوا لارادة الاقوياء ، كما فرضت عليهم الضرائب والانظمة الادارية وفق خطة تقضي بتأمين بقاء المستعمرين*. وتعريف هذين الشعبين على اساس « الغيرية » : « غير البيض » من جهة و« غير اليهود » من جهة اخرى ، يكشف عن تحامل بسيكولوجي يتميز به الذين بين أيديهم زمام السلطة ، تحامل اصبح جزءا لا يتجزأ من النظام القانوني الدولي المهيمن الذي يعتبر ان الرد على احتجاجات المتذمرين يجب ان يكون على أساس القانون نفسه ... فلسطين وجنوب افريقية — بلدان يبعدان قرابة ٣٥٠٠ ميل عن بعضهما بعضا ولكن كلا منهما موضع اهتمام المستعمر نفسه ، وكلا ذهب ضحية ، بأسم الشعوب الغربية والمصالح الامبريالية البريطانية ، وقد وضعت تفاصيل عملية التضحية هذه على يد السياسيين انفسهم ، وفي كلتا الحالتين فان الحيف الواضح الذي ارتكبته دولة غربية او الحضارة الغربية ضد يهودي في الحالة الاولى ، وافريقاني في الحالة الثانية ، قد تم التكفير عنه على حساب الذين اعتبروا « غير متحضرين » و« بدائيين » جدا و«متخلفين» جدا لتثبيت ادعاء اخلاقي مماثل. وفي كلتا الحالتين ايضا قبلت بريطانية علنا أو ضمنا فكرة اعتبار اليهودي والافريقاني كـ « شعب مختار » ووارث لـ « أرض الميعاد »... وبالتالي يمكن ارجاع قرار بريطانية للتضحية بحقوق سكان جنوب افريقية وفلسطين الاصليين لاعتبارات امبريالية ، اذ أن ما سيطر على تفكير الحكومة البريطانية في ١٩٠٩ هو أن قناة السويس يمكن أن تتعرض للاغلاق في وجه الملاحة البريطانية في حالة نشوب حرب ، الامر الذي سيعيد لطريق رأس الرجاء الصالح اهميته التجارية والاستراتيجية

---

* في كلتا الحالتين ، استغرقت عملية سلب حقوق غالبية السكان الاصليين التي كانت هذه القوانين تجسدها زمنا طويلا .